

تفسير البحر المديد في تفسير القرآن المجيد/ ابن عجيبة (ت 1266 هـ) مصنف و
مدقق مرحلة اولى

{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } * { مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ } * { وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ }
{ * { وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ } * { وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ } (1-5)

يقول الحق جلّ جلاله: { قُلْ } يا محمد { أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } أي: أتحصن وأستجيرُ
برب الفلق. والفلق: الصُّبح، كالفرق، لأنه يفلق عنه الليل، فعل بمعنى مفعول. وقيل:
هو كل ما يفلقه الله تعالى، كالأرض عن النبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن
الأمطار، والحب والنوى عما يخرج منهما، والبطون والفروج عما يخرج منهما، وغير
ذلك مما يفلق ويخرج منه شيء. وقيل: هو جب في جهنم.

وفي تعليق العياذ بالرب، المضاف إلى الفلق، المنبئ عن النور بعد الظلمة، وعن السعة
بعد الضيق، والفتق بعد الرتق، عِدَّة كريمة بإعادة العامة مما يتعوذ منه، وإنجائه منه وقلق
ما عقد له من السحر والحلاله عنه، وتقوية رجائه بتذكير بعض نظائره، ومزيد ترغيب
في الاعتناء بقوع باب الالتجاء إلى الله تعالى.

ثم ذكر المتعوذ منه فقال: { مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ } من الثقلين وغيرهم، كائناً ما كان،
وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور الجمادية، والحيوانية، والسماوية، كالصواعق
وغيرها. وإضافة الشر إليه. أي: إلى كل ما خلق. لاختصاصه بعالم الخلق، المؤسس
على امتزاج المراد المتباينة، وتفاصيل كفياتها المتضادة المستتبعة للكون والفساد في عالم
الحكمة، وأما عالم الأمر فهو منزّه عن العلل والأسباب، والمراد به: كن فيكون.

وقوله تعالى: { ومن شر غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ } تخصيص لبعض الشرور بالذكر، بعد اندراجه فيما قبله، لزيادة مساس الحاجة إلى الاستعاذة منه، لكثرة وقوعه، أي: ومن شر الليل إذا أظلم واشتد ظلامه، كقوله تعالى:

{إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ}

[الإسراء:78]. وأصل الغسق: الامتلاء. يقال: غسقت عينيه إذا امتلأت دمعاً، وغَسَقُ الليل: انضباب ظلامه. وقوله: { إذا وقب } أي: دخل ظلامه، وإنما تعوَّذ من الليل لأنه صاحب العجائب، وقيل: الغاسق: القمر، ووقوبه: دخوله في الكسوف واسوداده، لما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي، وقال: " **تعوذني بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب** " وقيل: وقوب القمر: محاقه في آخر الشهر، والمنجّمون يعدونه نحساً، ولذلك لا تستعمل السحرة السحرَ المورث للمرض إلا في ذلك الوقت، قيل: وهو المناسب لسبب النزول. وقيل: الغاسق: الثريا، ووقوبها: سقوطها، لأنها إذا سقطت كثرت الأمراض والطواعين. وقيل: هو كل شر يعتري الإنسان، ووقوبه هجومه، فيدخل فيه الذكر عند الشهوة المحرمة وغيره.

{ ومن شر النفاثاتِ في العُقَدِ } أي: ومن شر النفوس، أو: النساء النفاثات، أي: السواحر اللاتي يعقدن عقداً في خيوط، وينفثن عليها، والنفث: النفخ مع ريق، وقيل: بلون ريق، وتعريفها إمّا للعهد الذهني، وهن بنات كبيد، أو: للجنس، لشمول جميع أفراد السواحر، وتدخل بنات كبيد دخولاً أولياً. { ومن شر حاسدٍ إذا حسدَ } إذا أظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه، بترتيب مقدمات الشر، ومبادئ

الإضرار بالمحسود، قولاً وفعلاً، والتقيد بذلك؛ لأنَّ ضرر الحسد قبله إنما يحيق بالحاسد، وقد تكلم ابن جزري هنا على الحسد بكلام نقلناه في سورة النساء، فانظره فيه.

الإشارة: الفلق هو النور الذي انفلق عنه بحر الجبروت، وهي القبضة المحمدية، التي هي بذرة الكائنات، فأمر الله بالتعوذ بربها الذي أبرزها منه، من شر كل ما يشغل عن الله، من سائر المخلوقات، ومن شر ما يهجم على الإنسان، ويقوم عليه من نفسه وهواه وغضبه وسخطه، ومن شر ما يكيد من السحرة أو الحُساد. والحسد مذموم عند الخاص والعام، فالحسود لا يسود. وحقيقة الحسد: الأسف على الخير عند الغير، وتمني زواله عنه، وأما تمني مثله مع بقاءه لصاحبه فهي الغبطة، وهي مملوحة في الكمالات، كالعلم والعمل، والذوق والحال. وبالله التوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وآله.